الربع التاسع

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣) قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145)

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧) وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠) كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153)

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)

محاور الربع

العلاقة بين هذا الربع والربع الذي قبله:

أن الربع السابق يتكلم عن إبراهيم وبناءه الكعبة، ودعاءه الله أن يبعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم الأيات ويعلمهم الحكمة، وأنه أوصى ذريته بالثبات على مله الإسلام، لكن بني إسرائيل نقضوا العهد وعادوا القبلة وما اتبعوا الوصية.

هذا الربع يتكلم عن رجوع أمر القبلة إلى مكة، وأن إمامة إبراهيم ستكون في البلد الحرام، وهذه الأمة هي التي ستشهد على جميع الأمم، وفيه استجابة الدعاء بالنبي من نسل إسماعيل.

وكذلك الربع السابق كان توطئة وتمهيد لمسألة تحويل القبلة

التفسير التحليلي

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢)

سَيَقُولُ	السين للتنفيس؛ وإذا دخلت على المضارع أخلصته للمستقبل. وهنا أخبر الله النبي بشيء لم يقع أنه سيقع فوقع، فهذا اعجاز واخبار بالغيب.
السُّفَهَاء	{السفهاء} جمع سفيه؛ وهو الذي لا يحسن التصرف لنفسه وخالف الحكمة. **والمراد بالسفهاء هنا:** قال ابن كثير: قيل: المراد بالسفهاء- هاهنا مشركوا الْعَرَبِ، قَالَهُ الزَّجَّاجُ، وَقِيلَ أَحْبَارُ يَهُودَ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَقِيلَ: الْمُنَافِقُونَ، قَالَهُ السُّدِّيُّ، وَالْآيَةُ عَامَّةٌ فِي هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ **وسبب اطلاق السفه عليهم:** **اليهود**: لأنهم سَفِهوا الحق وأنكروه. **والمنافقون**: جهلوا قدرة الله وحكمته في ذلك. **المشركون**: لأنهم اختاروا الكفر على الإيمان. وسفه الدين بينه الله سبحانه وتعالى بقوله تعالى: {ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه} [البقرة: ١٣٠]
مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ	مَا وَلَّاهُمْ يعني: أيّ شيء صرفهم {عن قبلتهم} أي ما يستقبلون، والمراد بها بيت المقدس

	أَيْ قالوا على سبيل السخرية والاستهزاء، وعلى سبيل التلبيس والتشكيك: مَا لِهَؤُلَاءِ تَارَةً يَسْتَقْبِلُونَ كَذَا وَتَارَةً يَسْتَقْبِلُونَ كَذَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَوَابَهُمْ فِي قَوْلِهِ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ **اختلف العلماء في توجه النبي لبيت المقدس:** القول الأول: أَنَّ التَّوَجُّهَ إِلَى بيت المقدس كان باجتهاده عليه السلام القول الثاني: أنها بوحي. والخلاصة أنه كان وحيًا من الله، لأنه لو كان باجتهاده فقد أقره الله عليه فصار وحيًا.
قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ	{لله} : خبر مقدم؛ و {المشرق} مبتدأ مؤخر؛ وتقديم الخبر وهو حقه التأخير ـ يفيد الحصر؛ يعني: لله وحده المشرق، والمغرب؛ قال ابن كثير: أَيِ الْحُكْمُ وَالتَّصَرُّفُ وَالْأَمْرُ كله لله .... الشَّأْنُ كُلُّهُ فِي امْتِثَالِ أَوَامِرِ اللَّهِ، فَحَيْثُمَا وَجَّهَنَا تَوَجَّهْنَا، فَالطَّاعَةُ فِي امْتِثَالِ أَمْرِهِ وَلَوْ وَجَّهَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّاتٍ إِلَى جِهَاتٍ متعددة: فنحن عبيده وفي تصرفه، وَخُدَّامُهُ حَيْثُمَا وَجَّهَنَا تَوَجَّهْنَا **الحكمة من تحويل القبلة:** اختبار وابتلاء ليظهر المرتاب من الموقن.
يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ	أي يدلّ، ويوفق **فائدة: كل شيء قيد بمشيئة الله فهو مقرون بالحكمة:** يهدي من يشاء ممن هو أهل للهداية، فالله يعلم من هو محل قابل للهداية فيوفقه لها.
إِلَى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ	«الصراط» الطريق الواسع الذي يسهل سلوكه؛ والمراد به هنا شريعة الله التي شرعها » لعباده، و «المستقيم» الذي لا اعوجاج فيه

مسائل مستنبطة:

فيها اثبات النسخ ← النَّاسِخَ لَا يَلْزَمُ حُكْمُهُ إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ بِهِ، وَإِنْ تَقَدَّمَ نُزُولُهُ وَإِبْلَاغُهُ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِإِعَادَةِ الْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ

هداية وتدبر

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا	علم الله بما سيكون وفيه توطين النفوس على الصبر والاحتمال وبذلك يكون متوقعًا قد تهيأت نفوسهم وتوطنت أرواحهم لسماعه، فلا يكون ذلك صادمًا للنفوس ومزعجًا لها، فلا يحصل لهم اضطراب ويكون الجواب مُهيئًا.
	فيها تسلية النبي والمؤمنين، ففيه تخفيف في نفوسهم أن الذين سيتعرضون على تحويل القبلة هم السفهاء من الناس فمثل هذا الوصف الذي ذكره الله بهذه الآية يهون هذه المقالة، والمعنى أن كلامهم لايعبأ له.
	هذا يدل على عناية الله بهذه الأمة، فهو يُشرع لهم ويُخبرهم عن ما سيقول الخصوم والأعداء كل ذلك رعاية لنفوسهم وأرواحهم من أجل أن يكون سيرهم على صراطه المستقيم مُسددًا قويمًا من غير اضطراب ولا تردد.
	لا يُعارض شريعة الله وحكمه إلا سفيه، ولذا الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– جاءوا بمحارات العقول، ولم يأتوا بمحالات العقول.
مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا	هذا خلاف حال أهل الإيمان: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ [سورة الأحزاب:٣٦] وقال تعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا [سورة النور:٥١].

قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	ليست كل قضية يجاب عنها بطُرق عقلية وإقناعية وما إلى ذلك، فكل معارض يجاب عليه بالطرق المناسبة في كل مقام، بحسب القضايا العارضة، وبحسب أيضًا هؤلاء المعترضين قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [سورة البقرة:١٤٢] فليس لنا إلا التسليم.
	أصل الرد أنه مشروع في الأصل إذا دعت الحاجة إليه كالشبهات، لكن لا يعني أن يُرد على كل مُجادل ومُبطل.
	العدو يحتج على عدوه بما يثير نعرته، ويلزمه؛ فيبقى على ما هو عليه، لقوله تعالى: {عن قبلتهم}؛ لم يقولوا: عن القبلة
	عموم ملك الله عزّ وجلّ؛ لقوله تعالى: {لله المشرق والمغرب} ؛ فهو المالك سبحانه وتعالى للجهات يُصرِّف إليها العباد كيف يشاء؛ ونحن ليس علينا إلا السمع، والطاعة؛ أينما وجهنا توجهنا
	أن الهداية بيد الله؛ لقوله تعالى: {يهدي من يشاء} ، ومنها: أنْ هدَى هذه الأمة إلى القبلة التي يرضاها الرسول صلى الله عليه وسلم
	الثناء على هذه الأمة؛ لأنها التي على صراط مستقيم؛ لأن أول من يدخل في قوله تعالى: {يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} هؤلاء الذين تولوا عن بيت المقدس إلى الكعبة و حيث هداها الله إلى استقبال بيته الذي هو أول بيت وضع الناس

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (البقرة: ١٤٣)

"التفسير التحليلي"

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً	{جعلناكم} أي صيرناكم والمراد بـ «الأمة» هنا أمة الإجابة {وسطاً} أي عدلاً خياراً فكما أن الله اختار لهم القبلة وهي أعدل الجهات، وكذلك أيضاً اختار لهم الإسلام وهو أعدل الأديان وسط بين الإفراط والتفريط، بين الغلو والجفاء، فاليهود عندهم غلو والنصارى عندهم تفريط، فمثلاً في الطهارة اليهود إذا وقعت النجاسة على الثوب قطعوه، والنصارى على العكس لا يتنزهون من النجاسات، وأهل الإسلام يغسلون النجاسة. وهي الآية الوسط التي في منتصف سورة البقرة، حتى هذه الكلمة وَسَطًا.
لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ	.**{لتكونوا}** للتعليل؛ **{شهداء}** أي تشهدون على الناس، وفيها دلالة على عدالة الأمة فإنما يُقبل قول العدول، **على**" تدل على الاستعلاء وذلك أن الشهيد كالرقيب والمهيمن فهو بمنزلة أعلى من المشهود له أو عليه. وهذه الشهادة تكون في الدنيا والآخرة: **في الآخرة**: بأن الرسل قد بلغتهم؛ فمنهم من آمن، ومنهم من كفر.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ وَمَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ، فَيُقَالُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟

فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، قَالَ فَذَلِكَ قوله: وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً قال: والوسط الْعَدْلُ، فَتُدْعَوْنَ فَتَشْهَدُونَ لَهُ بِالْبَلَاغِ ثُمَّ أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

وأما كونها في الدنيا:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: شَهِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِنَازَةً في بني مسلمة وَكُنْتُ إِلَى جَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَنِعْمَ الْمَرْءُ كَانَ، لَقَدْ كَانَ عَفِيفًا مُسْلِمًا وَكَانَ ... وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ خَيْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْتَ بِمَا تقول. فقال الرجل: الله يعلم بِالسَّرَائِرِ، فَأَمَّا الذي بَدَا لَنَا مِنْهُ فَذَاكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَبَتْ وَجَبَتْ، ثُمَّ شَهِدَ جِنَازَةً فِي بَنِي حَارِثَةَ وَكُنْتُ إِلَى جَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِئْسَ الْمَرْءُ كَانَ إِنْ كَانَ لَفَظًّا غَلِيظًا فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ شَرًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَعْضِهِمْ: أَنْتَ بِالذِي تَقُولُ. فَقَالَ الرَّجُلُ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِالسَّرَائِرِ، فَأَمَّا الذي بَدَا لَنَا مِنْهُ فَذَاكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَجَبَتْ. قَالَ مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ: فَقَالَ لَنَا عِنْدَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَرَأَ وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ثم قال الحاكم: هذا صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ

.

	كذلك قول الإمام أحمد -رحمه الله- لأهل البدع: "بيننا وبينهم يوم الجنائز" معناه: أن جنائز أهل السنة حاشدة، لكن هذا في وقت ظهور السنة وإلا قد يكون رأس الضلال فهذا الرافضي الهالك الخميني يوم مات مزقوا الكفن، وما استطاعوا أن ينزلوه من أجل تهافت البشر عليه بشكل منقطع النظير، قطعوا كفنه ليأخذوه للتبرك حتى بدت سوءته وقد يكون العالم في محل غربة وهو إمام لكنه في أرض بدعة وضلالة فقد لا يجتمع على جنازته ثلاثة.
وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً	يشهد بأن أمته قد فعلوا ما أمروا به، اذا فعلوا المأمورات، ويشهد على شهادتهم. النبي صلى الله عليه وسلم يشهد على أمته بأنه بلغ البلاغ المبين عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنَا وَأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كَوْمٍ مُشْرِفِينَ عَلَى الْخَلَائِقِ، مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا وَدَّ أَنَّهُ مِنَّا وَمَا مِنْ نَبِيٍّ كَذَّبَهُ قَوْمُهُ إِلَّا وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ»
قال ابن كثير	إِنَّمَا حَوَّلْنَاكُمْ إِلَى قِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، واخترناها لكم لِنَجْعَلَكُمْ خِيَارَ الْأُمَمِ لِتَكُونُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَدَاءَ عَلَى الْأُمَمِ، لِأَنَّ الْجَمِيعَ مُعْتَرِفُونَ لَكُمْ بِالْفَضْلِ، وَالْوَسَطُ هَاهُنَا الْخِيَارُ وَالْأَجْوَدُ وَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَسَطًا، خَصَّهَا بِأَكْمَلِ الشَّرَائِعِ وَأَقْوَمِ الْمَنَاهِجِ وَأَوْضَحِ الْمَذَاهِبِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: هُوَ اجْتَباكُمْ وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ [الْحَجِّ: ٧٨]

وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا	وهي استقبال بيت المقدس
إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ	المراد بـ {الرسول} محمد صلى الله عليه وسلم المراد بالعلم هنا علم الظهور وهو المحاسبة والجزاء فيترتب عليه الثواب والعقاب. .لنعلم من يتبع النبي ويتأسى بأقواله وأفعاله.
مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ	والمعنى: أَيْ مُرْتَدًّا عَنْ دِينِهِ، وعبر عنه بالإنقلاب على العقب لأن الانقلاب على العقب أشد نفوراً، واستنكاراً ممن وقف. قال ابن كثير: إِنَّمَا شَرَعْنَا لَكَ يَا مُحَمَّدُ التَّوَجُّهَ أَوَّلًا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ صَرَفْنَاكَ عَنْهَا إِلَى الْكَعْبَةِ لِيَظْهَرَ حَالُ مَنْ يَتَّبِعُكَ وَيُطِيعُكَ، .وَيَسْتَقْبِلُ معك حيثما توجهت ممن ينقلب على عقبه
وَإِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً	الضمير يعود على تحويل القبلة، واللام هنا للتوكيد؛ و{كبيرة} أي عظيمة شاقة
إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ	أضاف الفعل إلى نفسه؛ لأن كل شيء بقضاء الله، وقدره. إلا على الذين هداهم الله؛ والمراد بالهداية هنا هداية العلم، وهداية التوفيق؛ أما كونها هداية العلم فلأن الذين يخشون الله هم العلماء، كما قال الله تعالى: {إنما يخشى الله من عباده العلماء} كذلك هداية التوفيق.: إذا وفق العبد للانقياد لله سبحانه وتعالى سهل عليه دينه، وصار أيسر عليه من كل شيء، كما قال تعالى: {فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى} قال ابن كثير: لأنَ كُلَّ مَا جَاءَ بِهِ فَهُوَ الْحَقُّ الذي لَا مِرْيَةَ فِيهِ، وَأَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ فَلَهُ أَنْ يُكَلِّفَ عِبَادَهُ بِمَا شَاءَ وَيَنْسَخَ مَا يَشَاءُ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ التَّامَّةُ وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ

وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ	يضيع» بمعنى يتركه سدًى بدون مجازاة عليه؛ والمراد بـ {إيمانكم} » صلاتهم إلى بيت المقدس؛ وهذا عام للذين ماتوا قبل تحويل القبلة، ومن بقوا حتى حولت والخطاب فيها للمؤمنين الحاضرين لان المؤمنين كالجسد الواحد وقد ذكر بعض المفسرين أن سبب نزول هذه الآية أن اليهود صاروا يقولون للمسلمين: الذين صلوا منكم قبل تحويل القبلة ضاعت صلاتهم، وليس لهم فيها ثواب؛ فأنزل الله تعالى: {وما كان الله ليضيع إيمانكم} عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كانَ يُصَلِّي مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَهُمْ راكعون، قال: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَ الذي مَاتَ عَلَى القبلة قبل ان تحول قبل البيت رجال قُتِلُوا لَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ انْفَرَدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ
إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ	هذه الجملة مؤكدة بمؤكدين؛ أحدهما: {إنّ} ؛ والثاني: اللام، و {لرؤوف} قال العلماء: إن الرأفة أشد الرحمة؛ فهي رحمة خاصة؛ و {رحيم} أي متصف بالرحمة؛ والجمع بينهما ليدل على أنه ـ رؤوف .بالطّائعين، ورحيم بالمذنبين. وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً مِنَ السَّبْيِ قَدْ فُرِّقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا فَجَعَلَتْ كُلَّمَا وَجَدَتْ صَبِيًّا مِنَ السَّبْيِ

	أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِصَدْرِهَا وهي تدور على ولدها، فما وَجَدَتْهُ ضَمَّتْهُ إِلَيْهَا وَأَلْقَمَتْهُ ثَدْيَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أن لا تَطْرَحَهُ» ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فو الله لله أرحم بعباده من هذه بولدها»

هداية وتدبر

وَتَكُونوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} قدم الشهادة، وفي شهادة النبي أخر الشهادة: { وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}	**في الموضع الأول:** اثبات شهادة هذه الأمة على الأمم، وبيان فضلها فقدمت لذلك. **وفي الثاني:** اختصاص هذه الأمة بشهادة النبي وهذا شرف ليس بعده شرف، النبي هو الذي يشهد عليهم، أما الأمم الأخرى فتشهد عليهم هذه الأمة ولا تشهد عليهم أمة.
وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ	أن الله -تبارك وتعالى- يمتحن عباده بالأحكام الشرعية كما يمتحنهم -تبارك وتعالى- بالأحكام القدرية الكونية، فما على العبد إلا أن يُذعن ويُسلم ويستسلم لأحكام الله لا يعترض.
	اختار الله مدة للتوجه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا تمحيصًا للنفوس، يُمحصها من كل رواسب الجاهلية ومن علائقها التي كانت تتعلق بها، ليُمحص النفوس لتكون مُتبعة لأمر الله كانوا في الجاهلية يُعظمون البيت فتحويلهم إلى بيت المقدس هذا بحد ذاته امتحان للنفوس وتنقية لها من مألوفاتها وعاداتها؛ لتكون تابعة لأمر الله

	وروى الإمام أحمد في مسنده أن مما يحسدنا عليه اليهود القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها؛ فهم يحسدوننا على هذه الخصلة؛ وكذلك على يوم الجمعة، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين
	التقدم حقيقة إنما يكون بالإسلام، وأن الرجعية حقيقة إنما تكون بمخالفة الإسلام؛ لقوله تعالى: {ممن ينقلب على عقبيه}
وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ	أن بعض الأوامر الشرعية أو النواهي شاقة على النفوس لكن ما الذي يهونها؟ الإيمان والهداية وترويض النفس على الطاعة وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً هي أمر شاق تحويل القبلة إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ [سورة البقرة:١٤٣] فدل على أنه بقدر هداية الإنسان بقدر ما يحصل له من الهداية بقدر ما يحصل له من الرسوخ والثبات فلا يتضعضع ولا يتزعزع فتذهب عنه هذه المشقة.
	{إلا على الذين هدى الله} ؛ وهذه أعظم منة منَّ الله بها عليه أن هداه للإسلام؛ فيجب أن يشعر بها الإنسان؛ لا يمنّ بدينه على ربه؛ بل يعتقد أن المنة لله عليه، كما قال تعالى: {يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين}
إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ	أن الله لا يُضيع عمل المؤمن ولا يذهب هباءً، وفيه أيضًا إظهار للمنة والرأفة هي رحمة رقيقة أرق الرحمة يُقال لها: رأفة، فالحكم المنسوخ يُلغي العمل بالحكم في المستقبل وليس مُلغيًا لما مضى من أعمال العاملين على وفق ما أمر الله –تبارك وتعالى.
	إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ فقدمهم فهذا يدل على شدة تعلق رحمته بهم ولصوقها وعلوقها بهم، فالله أرحم بعباده من الوالدة بولدها لاحظ هذا التقديم، وما أفاده.

فوائد مستنبطة من الآية:

بعض التفاسير تذكر أن هناك من ارتد بعد مسألة نسخ القبلة وقالوا: «إن محمداً ليس على يقين من أمره: بالأمس له قبلة؛ واليوم له قبلة» ؛ وهذا ليس فيه دليل صريح.

الفائدة الثانية:

العمل من الإيمان، لقوله تعالى: {وما كان الله ليضيع إيمانكم} ؛ فإنها فسرت بالصلاة إلى بيت المقدس

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)

"التفسير التحليلي"

سبب نزول هذه الآية	عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ أَوَّلُ ما نسخ من القرآن القبلة، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم، لما هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا الْيَهُودَ فَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَسْتَقْبِلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَفَرِحَتِ الْيَهُودُ فَاسْتَقْبَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُحِبُّ قِبْلَةَ إِبْرَاهِيمَ فَكَانَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ إِلَى قَوْلِهِ: فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ
{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ}	{قد} هنا للتحقيق؛ و**{نرى}** فيها توجيهان: الأول: فعل مضارع عبر به عن الماضي؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرر تقلب وجهه في السماء؛ فأتى بالفعل المضارع للدلالة على استمرار رؤية الله له ترقباً لنزول جبريل بتحويل القبلة إلى الكعبة. الثاني: إنه فعل مضارع على بابه، فيكون إخباراً بأن الله سيرى تقلب وجهه، ثم يحوله إلى القبلة التي يرضاها؛ وهذا أقرب إلى ظاهر اللفظ أي: كثرة تردده في جميع جهاته، شوقا وانتظارا لنزول الوحي باستقبال الكعبة. **وقال: {وَجْهِكَ}** ولم يقل: "بصرك "لزيادة اهتمامه، ولأن تقليب الوجه مستلزم لتقليب البصر وهذا فيه رد على قول من قال: إن توجه النبي إلى بيت المقدس كان من عند نفسه

{فَلَنُوَلِّيَنَّكَ}	**{فلنولينك}** الفاء للتفريع؛ لأن ما بعدها مفرع على ما قبلها؛ ، واللام موطئة للقسم؛ فالجملة مؤكدة بثلاثة مؤكدات؛ وهي القسم المقدر، واللام، والنون؛ **وقوله: {فلنولينك}** أي فلنوجهنَّك؛ وقيل: فلنحولنَّك إلى {قبلة ترضاها}؛ وهنا تدرج في الحكم لكي تتشوف النفس لما بعده، ويكون التدريج آنس للنفس قبل أن يقع المطلوب فجأة. أولا بين حال النبي ثم جاء الوعد، فيحصل للنفس من الانبساط والسرور والانشراح، ثم يأتي بعد ذلك الأمر بالتوجه إلى بيت الله الحرام فيكون ذلك إنجازًا لهذا الوعد فيتوالى الفرح والسرور والاستبشار على نفسه.
{قِبْلَةً تَرْضَاهَا}	أي: تحبها، وهي الكعبة، وفي هذا بيان لفضله وشرفه صلى الله عليه وسلم، حيث إن الله تعالى يسارع في رضاه. **قِبْلَةً** جاءت مُنكرة، ويُفيد التعظيم، فهذه قبلة عظيمة. و **{ترضاها}** أي تطمئن إليها، وتحبها، وتقبلها؛ والرسول صلى الله عليه وسلم قَبِل القبلة الأولى، ورضيها قبل أن يحول إلى الكعبة؛ لكنه يحب أن يحول إلى الكعبة عَنْ يَحْيَى بْنِ قَمْطَةَ قَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بإزاء الميزاب فتلى هَذِهِ الْآيَةَ، فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها قَالَ: نَحْوَ مِيزَابِ الْكَعْبَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم قال: «البيت قِبْلَةٌ لِأَهْلِ الْمَسْجِدِ وَالْمَسْجِدُ قِبْلَةٌ لِأَهْلِ الْحَرَمِ وَالْحَرَمُ قِبْلَةٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ فِي مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا مِنْ أُمَّتِي عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَى قَالَ: كُنَّا نَغْدُو إِلَى الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم فَنُصَلِّي فِيهِ فَمَرَرْنَا يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقُلْتُ: لَقَدْ حَدَثَ أَمْرٌ فَجَلَسْتُ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها

	حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْآيَةِ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: تَعَالَ نَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَكُونَ أَوَّلَ من صلى، فتوارينا فصليناها. ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصلّى لِلنَّاسِ الظُّهْرَ يَوْمَئِذٍ. عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الْكَعْبَةِ صَلَاةُ الظُّهْرِ وَأَنَّهَا الصَّلَاةُ الْوُسْطَى، وَالْمَشْهُورُ أَنَّ أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَاهَا إِلَى الْكَعْبَةِ صَلَاةُ الْعَصْرِ وَلِهَذَا تَأَخَّرَ الْخَبَرُ عَنْ أَهْلِ قُبَاءَ إِلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ.
{فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}	**{فول وجهك}** أي استقبل بوجهك. **والمراد بـ «الوجه»** جميع البدن؛ لأن البدن بهيئته وطبيعته إذا استقبل الوجه جهة صار جميع البدن مستقبلاً لها **والمراد بـ «الشطر»** هنا الناحية والجهة؛ يعني: جهة المسجد الحرام؛ **{الحرام}** من الحُرم؛ وهو المنع؛ وسمي «حراماً»؛ لأنه يمنع فيه من أشياء لا تمنع في غيره، ولأنه محترم معظم؛ والمراد به الكعبة، وما حولها من البناء المعروف. **وتفصيل تولية الوجه:** **أولا**: اذا كان المصلي يرى الكعبة ففرض عليه استقبال عينها. **ثانيًا**: اذا كان المصلي لايرى الكعبة فيتجه نحو جهتها.
{وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ}	أي: من بر وبحر، وشرق وغرب، جنوب وشمال.
{فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ}	أي: جهته عدل عن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم إلى الخطاب لأمته؛ لأن الخطاب الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم خطاب له، وللأمة؛ إذ إنه الإمام قال ابن كثير: أَمَرَ تَعَالَى بِاسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا وَشَمَالًا وَجَنُوبًا، وَلَا يُسْتَثْنَى مِنْ هَذَا شَيْءٌ سِوَى النَّافِلَةِ فِي حَالِ السَّفَرِ فَإِنَّهُ يُصَلِّيهَا حَيْثُمَا تَوَجَّهَ قَالَبُهُ وَقَلْبُهُ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، وَكَذَا فِي حَالِ الْمُسَايَفَةِ فِي الْقِتَالِ

	يُصَلِّي عَلَى كُلِّ حَالٍ. وَكَذَا مَنْ جَهِلَ جِهَةَ الْقِبْلَةِ يُصَلِّي بِاجْتِهَادِهِ وَإِنْ كَانَ مُخْطِئًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.
{وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ}	لما ذكر تعالى المعترضين على نسخ القبلة من أهل الكتاب وغيرهم، وذكر جوابهم، ذكر هنا، أن أهل الكتاب والعلم منهم، يعلمون أنك في ذلك على حق ، لما يجدونه في كتبهم، فيعترضون عنادا وبغيا. وفيه توجيه للمؤمنين: أنهم إذا كانوا يعلمون بأنكم على الحق، وأنهم مخطئون في الاعتراض فلا تبالوا بذلك، فإن الإنسان إنما يغمه اعتراض من اعترض عليه، إذا كان الأمر مشتبها، وكان ممكنا أن يكون معه صواب. **{أنه الحق}** أي استقبالك المسجد الحرام الحق؛ و {الحق} معناه الشيء الثابت؛ فإن أضيف إلى الخبر فهو الصدق؛ وإن أضيف إلى الحكم الشرعي فهو العدل؛ قال الله تعالى: {وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً}.
{وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}	خبر مُضمن معنى الوعيد والتهديد، فالله -تبارك وتعالى- ليس بغافل معنى ذلك أنه يحفظ عليهم أعمالهم، وسيُجازيهم ويُحاسبهم ويؤاخذهم على ذلك وفيها وعيد للمعترضين، وتسلية للمؤمنين. قال ابن كثير: أَيْ وَالْيَهُودُ الذين أنكروا استقبالكم وَانْصِرَافَكُمْ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُوَجِّهُكَ إِلَيْهَا بِمَا فِي كُتُبِهِمْ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ مِنَ النَّعْتِ وَالصِّفَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتِهِ، وَمَا خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَشَرَّفَهُ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْكَامِلَةِ الْعَظِيمَةِ، وَلَكِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَكَاتَمُونَ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ حَسَدًا وكفرا وعنادا ولهذا تهددهم تَعَالَى بِقَوْلِهِ: وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ..

هداية .... وتدبر

تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ	هذا ليس فيه سوء أدب مع الله تعالى لأنه يترقب نزول الوحي وليس معناه أنه يرفع رأسه من أجل الدعاء -والله أعلم-. والمشروع أن فلداعي إذا دعا فإنه ينظر إلى بطون كفيه في الدعاء، وأما في الصلاة فإنه ينظر إلى موضع سجوده، وإذا كان في التشهد فإنه ينظر إلى المسبحة يُحركها يدعوا بها ويُلقي ببصره إليها.
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا	النبي إنما يكون هواه تبعًا لمحاب الله فإن نفسه أشرف وأكمل من ذلك. وهنا فائدة: النفس إذا صار لها ارتياض بالطاعة وارتقت في درجات العبودية، وحصلت لها ألوان الكمالات وصار هواها تبعًا لما يرضاه الله -تبارك وتعالى-. .
	إذا ضاقت بك الأرض تضرع لـ ربك ولن يُخيّب الله رجاءك، بل قد يحقق الله لك ماتمنيته وإن لم تدع الله به، وهذا من كمال العناية الربانية
	بقدر أشواقك للهداية يمنحك الله أنوارها.
وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ	يعلمون أنه الحق إذًا كان الواجب عليهم أن ينقادوا له. قال الشيخ العثيمين: لأن من أقر بربوبية الله سبحانه وتعالى لزم أن يقر بأحكامه، ويلتزم بها؛ لأن الرب له الملك المطلق يتصرف كيف يشاء؛ ولهذا أضاف الربوبية هنا إليهم: {من ربهم}؛ لإقامة الحجة عليهم حيث .يعترفون بربوبيته
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ	تمام مراقبة الله في كل وقت وحين. تسلية للمؤمن، وتهديد للكافر

مسائل مستنبطة:

أولًا: مسائل فقهية:

اشتراط استقبال الكعبة، للصلوات كلها، فرضها، ونفلها، وأنه إن أمكن استقبال عينها، وإلا فيكفي شطرها وجهتها
الالتفات بالبدن، مبطل للصلاة، لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده

مسائل عقدية:

{تقلب وجهك} إثبات صفة العلو

←

قَدْ نَرَى" اثبات صفة الرؤية والبصر لله.

←

انتفاء غفلة الله عزّ وجلّ عن أعمالهم المتضمن لكمال العلم، والإحاطة؛

وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)

"التفسير التحليلي"

وَلَئِنْ أَتَيْتَ	{أتيت} بمعنى جئت
بِكُلِّ آيَةٍ	أي: بكل برهان وعلامة ودليل على صدق ما أتيت به إليهم يوضح قولك ويبين ما تدعو إليه.
مَا تَبِعُوا {قِبْلَتَكَ}	فيها تأويلان: أي: ما تبعوك، لأن اتباع القبلة، دليل على اتباعه. وقيل أي ما تبعوا الكعبة؛ لعنادهم، واستكبارهم. قال الشيخ السعدي: فالآيات إنما تفيد وينتفع بها من يتطلب الحق، وهو مشتبه عليه، فتوضح له الآيات البينات، وأما من جزم بعدم اتباع الحق، فلا حيلة فيه.
وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ	قبلة أهل الكتاب ليست بوحي وتوقيف من الله بل هي اجتهاد منهم: **النصارى**: قبلتهم المشرق، وهم يقرون أن قبله المسيح قبلة بني إسرائيل. **اليهود**: قبلتهم اذا كانوا في بيت المقدس الصخرة التي كان التابوت عليها، واذا كانوا في أي مكان آخر فالقبلة التابوت. قال الشيخ السعدي: أبلغ من قوله: "وَلا تَتَّبِعْ "لأن ذلك يتضمن أنه صلى الله عليه وسلم اتصف بمخالفتهم، فلا يمكن وقوع ذلك منه.
وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ	{وما بعضهم} أي الذين أوتوا الكتاب {بتابع قبلة بعض} : فاليهود لا تتبع قبلة النصارى؛ والنصارى لا تتبع قبلة اليهود

	فالغرض المقصود: أن اختلافهم فيما بينهم، حاصل، وبعضهم، غير تابع قبلة بعض، فليس بغريب منهم مع ذلك أن لا يتبعوا قبلتك يا محمد **وقال الشيخ السعدي:** إذا تبين الحق بأدلته اليقينية، لم يلزم الإتيان بأجوبة الشبه الواردة عليه، لأنها لا حد لها، ولأنه يعلم بطلانها، للعلم بأن كل ما نافى الحق الواضح، فهو باطل، فيكون حل الشبه من باب التبرع. فائدة: أفرد القبلة في قوله: قِبْلَتَهُمْ مع أن النصارى لهم قبلة يستقبلون المشرق، واليهود لهم قبلة يستقبلون التابوت وإذا كانوا في بيت المقدس يستقبلون الصخرة، فوحد القبلة بالنسبة لهؤلاء جميعًا مع أنها مُثناة، وذلك لأن كل واحدة من هاتين القبلتين باطلة أصلاً مُخالفة للقبلة الحق فاشتركتا في الاتحاد بالبطلان.
{وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ}	**{أهواءهم}** جمع هوى، وهو الميل عن الحق، إنما قال: "أهواءهم "ولم يقل "دينهم" لأن ما هم عليه مجرد هوى نفس، حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين، ومن ترك الدين، اتبع الهوى ولا محالة، قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}
{مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ}	العلم بأنك على الحق في أمر القبلة، وهم على الباطل
{إِنَّكَ إِذًا}	أي: إن اتبعتهم، فهذا احتراز، لئلا تنفصل هذه الجملة عما قبلها، ولو في الأفهام
{لَمِنَ الظَّالِمِينَ}	أي المعتدين الذين نقصوا الواجب عليهم من اتباع الحق دون الأهواء فلو فعلت ذلك فقد وضعت الاتباع والتوجه في غير موضعه. وأي ظلم أعظم، من ظلم، من علم الحق والباطل، فآثر الباطل على الحق. والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وأمته داخلة في ذلك، وإذا كان هو صلى الله عليه وسلم لو فعل ذلك -وحاشاه- صار ظالما مع علو مرتبته، وكثرة حسناته فغيره من باب أولى وأحرى

قال ابن كثير:	وَقَوْلُهُ وما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ إِخْبَارٌ عَنْ شِدَّةِ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَأَنَّهُ كَمَا هُمْ مُسْتَمْسِكُونَ بِآرَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، فَهُوَ أَيْضًا مُسْتَمْسِكٌ بِأَمْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَرْضَاتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَّبِعُ أَهْوَاءَهُمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ولا كونه متوجها إلى بيت المقدس لكونها قِبْلَةُ الْيَهُودِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تعالى، ثم حذر تَعَالَى عَنْ مُخَالَفَةِ الْحَقِّ الذي يَعْلَمُهُ الْعَالِمُ إِلَى الْهَوَى، فَإِنَّ الْعَالِمَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَقْوَمُ مِنْ غَيْرِهِ، وَلِهَذَا قَالَ مُخَاطِبًا لِلرَّسُولِ وَالْمُرَادُ به الأمة وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ.

وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ	أن ما يصد اليهود عن الدخول في الإسلام وكذلك النصارى ليس هو الجهل به، ولكن القضية هي أنهم يعرفونه لكن يخشونه على مصالحهم وسلطانهم ومن ثَم فإنهم .يكيدون له بأنواع الكيد، وبشتى الطرق والوسائل بطرق مُباشرة وبطرق غير مُباشرة منذ بعث الله نبيه، ونقر بأن منهم من لم يبلغه الإسلام بصورة صحيحة، لكن هذا لايعني جهلهم به. لكن هذا لا يعني أن لا تُقدم الدعوة فإن ذلك فيه من إقامة الحجة، ويفتح الله قلب من شاء، الهداية بيد الله ليست إليك سُهيل بن عمرو العامري الذي أراد عمر أن يقلع ثنيتيه؛ لأنه خطيب مفوه فلما أُسر في يوم بدر عمر عرض على النبي أن يخلع ثنيتيه بحيث يصبح ألثغ لا يعرف أن يخطب، فنهاه النبي عن هذا وقال: فعسى أن يقوم مقامًا تحمده عليه وفعلاً لما توفي النبي قام خطيبًا في قريش وقال: "أيها الناس! يا معشر قريش إنكم آخر من .دخل في هذا الدين فلا تكونوا أول من يخرج منه

	هداية التوفيق بيد الله، وما على الإنسان إلا اتباع الأسباب. .
وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ	من عرف الله معرفة صحيحة عرف حقيقة دين الإسلام ولن يتحول عنه بحال من الأحوال، بل ينشرح صدره وتخالط بشاشته قلبه. من جملة الأسئلة التي وجهت لأبي سفيان من قِبل هرقل: هل يرتد أحد من أتباعه بعد دخوله في الإسلام سخطة له؟ .فقال: لا، فقال: هكذا الإيمان إذا خالط القلوب.
	شدة عناد هؤلاء الذين أوتوا الكتاب؛ وأنهم مهما أوتوا من الآيات فإنهم لن ينصاعوا لها، ولن يتبعوها.
	مسألة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة يحصل به التميز لهذه الأمة، و مُباينة اليهود والنصارى وغيرهم ، منهم من يستقبل المشرق كالنصارى، واليهود يستقبلون التابوت،أو الصخرة "القبة" التي يوضع عليها التابوت لذا لايصح أن تُجعل شعارًا يرمز لبيت المقدس، فيتبادر إلى الأذهان إذا ذُكر بيت المقدس أن بيت المقدس هو هذه القبة التي على هذه الصخرة.
وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ.	وجوب الانقياد للحق إذا ظهرت آياته؛ لأن هذه الآية سيقت مساق الذم؛ فدل هذا على وجوب اتباع الحق إذا تبينت الآيات وأن الإنسان لا يؤاخذ بالمخالفة إلا بعد قيام الحجة فقد يتابع غيره جهلاً؛ فلا يؤاخذ به ـ وإن كان يسمى ضالاً؛ لكنه ليس بظالم
	العلم حقيقة هو علم الشريعة؛ لقوله تعالى: {من بعد ما جاءك من العلم} أتى بـ «أل» المفيدة للكمال؛ ولا شك أن العلم الكامل الذي هو محل الحمد والثناء هو العلم بالشريعة.

	العالم إذا انحرف فإن ذلك أعظم من انحراف غيره من سائر الناس. فأسوأ مثلين في كتاب الله هما للعالم المنحرف الذي لا يعمل بعلمه -ما ذكرهما الله الأول الكلب، والثاني الحمار الكلب: ضربه الله مثلاً لرجل من بني إسرائيل أتاه الله آياته، وكان من علمائهم فانحرف، ولم يكن متبعاً لما علم، فحاد عنه وقيل هذا في رجل من رهبان اليهود يقال له: بلعام بن باعوراء في قوله: فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث [سورة الأعراف:١٧٥-١٧٦] والثاني: مثلاً ضربه الله لطائفة بكاملها، وهم اليهود الذين أعطاهم الله كتاباً وعلماً، وميزهم بهذا عن سائر الأمم، ومع ذلك لم يعملوا بكتابهم، فمثلهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً، وعلى قدر المقام يكون الملام..
{لمن الظالمين}	وهو تهديد ووعيد لمن يتبع أهواء المخالفين لشريعة الإسلام.
	التلطف في الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم؛ لقوله تعالى: {لمن الظالمين} ما قال «ستكون ظالم» ونظيره قوله تعالى: {عبس وتولى} فمن لايعرف تفسيرها لن يخطر بباله أن المراد بها النبي.
	ليس بين الله تعالى وأحد من الخلق محاباه، فكل من خالفه فهو ظالم. قال الله تعالى: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم} فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى له: {ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين}

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧)

"التفسير التحليلي"

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ	أي أعطيناهم
الْكِتَابَ	التوراة، والإنجيل؛ والذين أوتوهما اليهود، والنصارى.
يَعْرِفُونَهُ كما يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ	يَعْرِفُونَهُ: بالفعل المضارع؛ لدلالته على التجدد والإستمرار، فمعرفتهم به تتجدد كلما تأملوا آياته، وصفاته. **يَعْرِفُونَهُ** فحول الخطاب حول الكلام من صيغة المخاطب إلى صيغة الغائب وهو ما يسمى بالإلتفات، وهذا فيه تنشيط للسامع، وهو من ضروب البلاغة. **اختلف العلماء في عود الضمير "يعرفونه"** فقيل: يعرفون النبي، وهو اختار ابن كثير، وقيل يعرفون البيت والقبلة، والآية تحتمل الجميع. **قال ابن كثير**: يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ عُلَمَاءَ أَهْلِ الْكِتَابِ، يَعْرِفُونَ صِحَّةَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلّم كَمَا يَعْرِفُ أَحَدُهُمْ وَلَدَهُ، وَالْعَرَبُ كَانَتْ تَضْرِبُ الْمِثْلَ فِي صِحَّةِ الشَّيْءِ بِهَذَا، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ. أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِرَجُلٍ مَعَهُ صَغِيرٌ «ابْنُكَ هَذَا» ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَشْهَدُ بِهِ، قَالَ «أَمَا إِنَّهُ لَا يَجْنِي عَلَيْكَ ولا تجني عليه . قال القرطبي: ويروى عن عمر أنه قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ: أَتَعْرِفُ مُحَمَّدًا كما تعرف ولدك؟ قَالَ، نَعَمْ وَأَكْثَرَ، نَزَلَ الْأَمِينُ مِنَ السَّمَاءِ على الأمين في الأرض بنعته فعرفته، وابني لا أدري ما كان من أمه.

	ثم قال ابن كثير: وَقَدْ يَكُونُ الْمُرَادُ يَعْرِفُونَهُ كما يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ من بين أبناء الناس كلهم، لا يشك أحد ولا يمتري في معرفة ابنه إذا رآه من أَبْنَاءِ النَّاسِ كُلِّهِمْ.
وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ	**ما المراد بالحق؟** النبي وهو ترجيح ابن كثير وقيل القبلة. والحق يشمل الجميع. وفيها مسألة: لا عذر ولا حجة لأهل الكتاب في إنكارهم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم أوتوا من وصفه ما يعرفونه به كما يعرفون أبناءهم.
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ	**الْمُمْتَرِينَ** أي الشاكين. **مِنْ رَبِّكَ** هنا الربوبية خاصة؛ لأنها أضيفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولأن المقام يقتضيها، فهو مقام التثبيت، والنصرة؛ فلولا أن الله سبحانه وتعالى ثبَّت الرسول صلى الله عليه وسلم لكان كما قال الله تعالى: { وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً } [الإسراء: ٧٣-٧٥] قال ابن كثير: ثبت تعالى نبيه صلّى الله عليه وسلّم وَالْمُؤْمِنِينَ وَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْحَقُّ الذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ

هداية .... وتدبر

كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ	اختار الأبناء على النفس وعلى كل شيء: لأن الإنسان إذا ولد فإنه لا يعرف نفسه ولايعرف أبويه ولايعرف من حوله، فيحتاج إلى مدة بعد ذلك

	يُدرك ما حوله، ويتعرف على الأشياء، بينما الولد يعرفه أبوه منذ أن تقع عينه عليه.
	وجه ذكر الأبناء دون البنات: الأول: باعتبار أنهم أكثر حفاوة بالأبناء فيعرفه معرفة أدق لشدة حفاوته به. الثاني: لكثرة مُلازمتهم للأبناء ومُخالطتهم، فيسهل عليهم تمييزهم. الثالث: من باب التغليب، غلب الأبناء على البنات والمقصود الجميع.
وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ	الاحتراس في القرآن الكريم، حيث قال تعالى: {وإن فريقاً منهم} ؛ لأن كتمان الحق لم يكن من جميعهم؛ بل من فريق منهم؛ وطائفة أخرى لا تكتم الحق، فلابد للإنسان أن يكون دقيقًا في ألفاظه عادلًا حتى مع أعدائه.
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ	فإن كان ذلك موجهًا للنبي وحاشاه أن يكون من الممترين الشاكين، فهو خطاب إليه يتوجه إلى أمته، زيادة في التوبيخ والتقريع، لمن يشك في دين الله.
	الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ: عناية الله -تبارك وتعالى- بنبيه في تثبيته وتقوية عزمه وقلبه على لزوم الحق، وفيها عناية الله بهذه الأمة أن ما أنزل عليها حق من الله، وهذا يتطلب شكر الله على هذه النعمه، وفعل الطاعات وترك المحرمات.
	فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ: حث وحض يقتضي الثبات على هذا الأمر والبُعد عن الشك والامتراء، فهذا تأييد للنبي من ربه، وتأييد للمؤمنين.
	كل شيء خالف ما جاء عن الله -تبارك وتعالى- فهو باطل، وأهله من أهل الامتراء، قال تعالى: {فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ} و ما دام الحق من الله .فإنه يجب أن يؤمن الإنسان به، وأن لا يلحقه في ذلك شك، ولا مرية

وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨)

"التفسير التحليلي"

وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ	فيها محذوف: إما: ولكل أهل ملة أو أهل دين، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: لِلْيَهُودِيِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا، وَلِلنَّصْرَانِيِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا، وَهَدَاكُمْ أَنْتُمْ أَيَّتُهَا الأمة إلى القبلة التي هِيَ الْقِبْلَةُ أو: ولكل قبلة من القبلتين اللتين توجهت إليهما وجهة، وهذا التوجيه بعيد.
هُوَ مُوَلِّيها	المعنى في قوله هو: الأول: يرجع إلى صاحب ملة أو دين. الثاني: يرجع إلى الله، أي ولكل أهل مله وجهه الله موليها إياه. الثالث: يرجع إلى الكعبة، وهذا ضعيف. وليس المراد بهذه الجملة إقرار أهل الكفر على كفرهم؛ وإنما المراد – والله أعلم – تسلية المؤمنين، وتثبيتهم على ما هم عليه من الحق؛ لأن لكل أحد وجهة ولاَّه الله إياها حسب ما تقتضيه حكمته
فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ	قال الإمام أحمد: "كل شيء من الخير يُبادر به قال الشيخ السعدي: والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها، يتضمن فعلها، وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى

	الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة، والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل، من صلاة، وصيام، وزكوات وحج، عمرة، وجهاد، ونفع متعد وقاصر
أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا	أي لما كان أقوى ما يحث النفوس على المسارعة إلى الخير، وينشطها، ما رتب الله عليها من الثواب فبين أنه يجمعكم ليوم القيامة بقدرته، فيجازي كل عامل بعمله،
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	.أَيْ هُوَ قَادِرٌ عَلَى جَمْعِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِنْ تَفَرَّقَتْ أَجْسَادُكُمْ وأبدانكم

هداية .... وتدبر

وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا	ليس الشأن في استقبال القبلة، لأنها قد تتغير ويدخلها النسخ، ولكن الشأن في امتثال طاعة الله، والسير على الصراط المستقيم، فهذا هو عنوان السعادة ومنشور الولاية، أما الإعتراض على أوامر الله ونواهيه فهذا سبيل .الخسران والهلاك في الدنيا والآخرة
فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ	عليكم معاشر المؤمنين أن تُبادروا إلى ما ينفعكم ويرفعكم فلا تذهب نفوسكم على هؤلاء حسرات قد مثل الحافظ ابن القيم -رحمه الله حال السائر إلى الله بذلك الذي يمضي إلى المسجد مثلاً فيجد من يعرض له فإن اشتغل به فإنه يؤخره عن إدراك الركعة، أو يؤخره عن إدراك الجماعة، لكن إن مضى يكون قد أدرك وما .ضره

	فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إذا جاء المواسم مواسم الطاعة والعبادة المبادرة إليها ليس بصحيح أن تستوي هذه المواسم مع غيرها.
أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا	أنت في مضمار السباق فكن حيثما تود أن يراك الله تعالى واعمل لآخرتك فإنها دار البقاء والمستقبل الدائم

مسائل مستنبطة.

مسألة فقهية مستنبطة

الأمر يقتضي الفورية؛ لأن الاستباق إلى الخير لا يكون إلا بالمبادرة إلى فعله؛

.

مسائل عقدية

إحاطة الله تعالى بالخلق أينما كانوا؛ لقوله تعالى: {أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً}

الإشارة إلى البعث؛ لأن الإتيان بالجميع يكون يوم القيامة

إثبات عموم قدرة الله عزّ وجلّ؛ لقوله تعالى: {إن الله على كل شيء قدير} ؛ وقد قال الله تعالى: {وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً}

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠)

"التفسير التحليلي"

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ	الخطاب هنا إما أن يكون للرسول صلى الله عليه وسلم؛ وإما أن يكون لكل من يتأتى خطابه؛ أي: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ} في أسفارك وغيرها، وهذا للعموم **فَوَلِّ وَجْهَكَ**: أي مستقبلاً، **شطر** أي جهة. **قال ابن كثير**: هَذَا أَمْرٌ ثَالِثٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِاسْتِقْبَالِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنْ جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي حِكْمَةِ هَذَا التَّكْرَارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقِيلَ: تَأْكِيدٌ لِأَنَّهُ أَوَّلُ نَاسِخٍ وَقَعَ فِي الإسلام على ما نص فيه ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ، وَقِيلَ: بَلْ هُوَ مُنَزَّلٌ عَلَى أَحْوَالٍ، فَالْأَمْرُ الْأَوَّلُ لِمَنْ هُوَ مُشَاهِدٌ الْكَعْبَةَ، وَالثَّانِي لِمَنْ هُوَ فِي مَكَّةَ غَائِبًا عَنْهَا، وَالثَّالِثُ لِمَنْ هُوَ فِي بَقِيَّةِ الْبُلْدَانِ، هَكَذَا وَجَّهَهُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ. وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: الْأَوَّلُ لِمَنْ هُوَ بِمَكَّةَ، وَالثَّانِي لِمَنْ هُوَ فِي بَقِيَّةِ الْأَمْصَارِ، وَالثَّالِثُ لِمَنْ خَرَجَ فِي الْأَسْفَارِ، وَرَجَّحَ هَذَا الْجَوَابَ الْقُرْطُبِيُّ. وَقِيلَ: إِنَّمَا ذَكَرَ ذَلِكَ لِتَعَلُّقِهِ بِمَا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ مِنَ السِّيَاقِ، فَقَالَ: أَوَّلًا قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها إِلَى قَوْلِهِ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ [البقرة: ١٤٤] فَذَكَرَ فِي هَذَا الْمَقَامِ إِجَابَتَهُ إِلَى طَلَبَتِهِ وَأَمْرِهِ بِالْقِبْلَةِ التِي كَانَ يَوَدُّ

	التَّوَجُّهَ إِلَيْهَا وَيَرْضَاهَا، وَقَالَ فِي الْأَمْرِ الثَّانِي، وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ فذكر أنه الحق من الله وارتقاءه الْمَقَامِ الْأَوَّلِ، حَيْثُ كَانَ مُوَافِقًا لِرِضَا الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيَّنَ أَنَّهُ الْحَقُّ أَيْضًا مِنَ اللَّهِ يُحِبُّهُ وَيَرْتَضِيهِ، وَذَكَرَ فِي الْأَمْرِ الثَّالِثِ حِكْمَةَ قَطْعِ حُجَّةِ الْمُخَالِفِ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَحَجَّجُونَ بِاسْتِقْبَالِ الرَّسُولِ إِلَى قِبْلَتِهِمْ وَقَدْ كَانُوا يَعْلَمُونَ بِمَا فِي كُتُبِهِمْ أَنَّهُ سَيُصْرَفُ إِلَى قِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَكَذَلِكَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ انْقَطَعَتْ حُجَّتُهُمْ لَمَّا صُرِفَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قِبْلَةِ الْيَهُودِ إِلَى قِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ، وَقَدْ كَانُوا يُعَظِّمُونَ الْكَعْبَةَ وَأَعْجَبَهُمُ استقبال الرسول إِلَيْهَا، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَجْوِبَةِ عَنْ حكمة التكرار، وقد بسطها الرازي وغيره، والله أَعْلَمُ.
وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ	{وإنه} أي توليك شطر المسجد الحرام {للحق} اللام هنا للتوكيد؛ فالجملة هنا مؤكدة بمؤكدين؛ أحدهما: «إن» ؛ والثاني: اللام؛ لئلا يقع لأحد فيه أدنى شبهة، ولئلا يظن أنه على سبيل التشهي لا الامتثال. و «الحق» هو الشيء الثابت.
{وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}	نفي الغفلة لإثبات كمال علم الله وإحاطته وقدرته فهو مطلع عليكم في جميع أحوالكم، فينبغي عليكم أن تأدبوا معه، وراقبوه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإن أعمالكم غير مغفول عنها، بل مجازون عليها أتم الجزاء، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.
لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ	أي: شرعنا لكم استقبال الكعبة، لينقطع عنكم احتجاج الناس من أهل الكتاب والمشركين، فإنه لو بقي مستقبلا بيت المقدس، لتوجهت عليه الحجة

	قال ابن كثير: أَيْ: أَهْلُ الْكِتَابِ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مِنْ صِفَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ التَّوَجُّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَإِذَا فَقَدُوا ذَلِكَ مِنْ صِفَتِهَا رُبَّمَا احْتَجُّوا بِهَا عَلَى المسلمين، ولئلا يَحْتَجُّوا بِمُوَافَقَةِ الْمُسْلِمِينَ إِيَّاهُمْ فِي التَّوَجُّهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَهَذَا أَظْهَرُ. قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ يَعْنِي بِهِ أَهْلَ الْكِتَابِ حِينَ قَالُوا: صُرِفَ مُحَمَّدٌ إِلَى الْكَعْبَةِ. وَقَالُوا: اشْتَاقَ الرَّجُلُ إِلَى بَيْتِ أَبِيهِ وَدِينِ قَوْمِهِ وَكَانَ حُجَّتُهُمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْصِرَافَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ، أَنْ قَالُوا، سَيَرْجِعُ إِلَى دِينِنَا كَمَا رَجَعَ إِلَى قبلتنا.
إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ	المراد بهم المعاندون المكابرون الذين لا يَرْعَوون للحق مهما تبين وقد احتج على المسلمين في هذه المسألة اليهود، والمشركون، والمنافقون؛ فالحجة التي احتج بها اليهود لها جهتان الأولى: أنهم قالوا: إن الرجل ترك ملتنا إلى ملة آبائه والجهة الثانية: أنه لو بقي على استقبال بيت المقدس لقالوا: ليس هذا النبي هو الذي جاء وصفه في التوراة وأما حجة المشركين فقالوا: إنه متبع هواه؛ فقد داهن اليهود أول أمره، ثم عاد، واستقبل الكعبة؛ وقالوا: «هذا الرجل خالفنا في عقيدتنا وخالفنا في ملتنا حين هاجر إلى المدينة، ثم رجع إلى قبلتنا؛ فسيرجع إلى ديننا» وأما حجة المنافقين فقالوا: إن هذا الرجل لا يثبت على دينه؛ ولو كان نبياً حقاً لثبت على دينه
قال الشيخ السعدي	وكان صرف المسلمين إلى الكعبة، مما حصلت فيه فتنة كبيرة، أشاعها أهل الكتاب، والمنافقون، والمشركون، وأكثروا فيها من الكلام والشبه، فلهذا بسطها الله تعالى، وبينها أكمل بيان، وأكدها بأنواع من التأكيدات، التي تضمنتها هذه الآيات.

	منها: الأمر بها، ثلاث مرات، مع كفاية المرة الواحدة، ومنها: أن المعهود، أن الأمر، إما أن يكون للرسول، فتدخل فيه الأمة تبعا، أو للأمة عموما، وفي هذه الآية أمر فيها الرسول بالخصوص في قوله: {فَوَلِّ وَجْهَكَ} والأمة عموما في قوله: {فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ} . ومنها: أنه رد فيه جميع الاحتجاجات الباطلة، التي أوردها أهل العناد وأبطلها شبهة شبهة، كما تقدم توضيحها، ومنها: أنه قطع الأطماع من اتباع الرسول قبلة أهل الكتاب، ومنها قوله: {وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} فمجرد إخبار الصادق العظيم كاف شاف، ولكن مع هذا قال: {وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} . ومنها: أنه أخبر - وهو العالم بالخفيات - أن أهل الكتاب متقرر عندهم، صحة هذا الأمر، ولكنهم يكتمون هذه الشهادة مع العلم.
وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ	قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي بِنِعْمَةِ اللَّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِهَذَا نَدَبَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الِاعْتِرَافِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ وَمُقَابَلَتِهَا بِذِكْرِهِ وشكره . قال ابن كثير: {لأتم نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ فِيمَا شَرَعْتُ لَكُمْ مِنَ اسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ، لِتَكْمُلَ لَكُمُ الشَّرِيعَةُ مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِهَا} وأضاف الله سبحانه وتعالى النعمة إليه: هو الذي يسديها، ويوليها على عباده؛ ولولا نعم الله العظيمة ما بقي الناس طرفة عين؛ كما قال تعالى: {وما بكم من نعمة فمن الله} [النحل: ٥٣]
وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ	أَيْ إِلَى مَا ضَلَّتْ عَنْهُ الْأُمَمُ هَدَيْنَاكُمْ إِلَيْهِ وَخَصَصْنَاكُمْ بِهِ، وَلِهَذَا كَانَتْ هذه الأمة أشرف الأمم وأفضلها

هداية .... وتدبر

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ	إثبات حرمة المسجد الحرام، وتعظيمه؛ حتى ما حوله صار محترماً معظماً؛ فالبلد كله آمن حتى الأشجار آمنة في هذا المكان؛ فلاتقطع
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}	كمال علم الله سبحانه وتعالى، ومراقبته لخلقه، فيبعث على الإنسان الإتيان بالأعمال على الوجه الأكمل على الوجه الصحيح.
	كما يتوجه العبد بوجهه إلى المسجد الحرام يتوجه بقلبه إلى الله دون أن يلتفت إلى أحد سواه يُرائي أو يُسمع أو غير ذلك.
وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ	تكرار الأمر الهام لتثبيته، والثبات عليه، ودفع المعارضة فيه.
إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ	أن المعارضين للحق شغبهم وتلبيسهم دائم، ينتهزون الفُرص للفتك بالمسلمين وتشكيكهم في دينهم.
لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ	دفع ملامة اللائمين ما أمكن؛ لكن الظالم لا يدفع ملامته شيء لأنه سيلوم وهو يعلم ببطلان لومه وفيها أنه ينبغي للإنسان أن يعرف شبه المخالفين التي يدعونها حججاً لِيَنْقَضَّ عليهم منها، فيبطلها؛ قال الله تعالى: {بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون} [الأنبياء: ١٨]
فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي	يعني مهما قال الذين ظلموا من كلام، ومهما قالوا من زخارف القول، ومهما ضايقوا من المضايقات فلا تخشوهم؛ لأنهم ظلمه وحجتهم باطلة وواهية.

	التخلية قبل التحلية؛ أزِلْ الموانع أولاً، ثم أثبت؛ فأولاً فرّغ قلبك من كل خشية لغير الله حتى يكون المحل قابلاً، ثم مكن خشية الله من قلبك
	علاج الخوف من الناس .. أن تحيي في قلبك الخوف من الله
	وجوب تنفيذ شريعة الله عزّ وجلّ، وألا يخشى الإنسان لومة لائم.
وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ	أن تنفيذ أوامر الله، وخشيته سبب للهداية؛ والهداية نوعان: هداية علمية؛ وهداية عملية؛ ويقال: هداية الإرشاد؛ وهداية التوفيق

مسائل مستنبطة

مسائل فقهية

ويؤخذ من هذه الآية لزوم استقبال القبلة في الفرض في جميع الأحوال في السفر والحضر أيًا كان سواء كان في الطائرة مخرجه: وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ [سورة البقرة:١٤٩] أو في الباخرة، أو في السيارة، أو في غير ذلك من المراكب فإنه يتوجه إلى المسجد الحرام إلا إذا عجز عن ذلك

مسائل عقدية

إضافة العمل إلى الإنسان، فيكون فيه رد على الجبرية؛ لقوله تعالى: {عما تعملون} ؛ ولا شك أن الإنسان يضاف إليه عمله؛ وعمله: كسبه – إن كان في الخير – واكتسابه – إن كان في الشر – كما قال تعالى: {لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت}

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)

"التفسير التحليلي"

	يقول تعالى: إن إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمامها بالشرائع والنعم المتممة، ليس ذلك بأول إحساننا عليكم، بل أنعمنا عليكم بما هو أعظم وأرقى وهو إرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم، تعرفون نسبه وصدقه، وأمانته وكماله ونصحه.
كما أَرسَلْنا فِيكُمْ رَسُولاً مِنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا	{يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا} أي كل الآيات المبينة للحق من الباطل، والهدى من الضلال، التي دلتكم أولا على توحيد الله وكماله، ثم على صدق رسوله، ووجوب الإيمان به، ثم على جميع ما أخبر به من المعاد والغيوب، حتى حصل لكم الهداية التامة، والعلم اليقيني.
وَيُزَكِّيهِمْ	قال ابن كثير: أَيْ يُطَهِّرُهُمْ مِنْ رَذَائِلِ الْأَخْلَاقِ وَدَنَسِ النُّفُوسِ وَأَفْعَالِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ	وَهُوَ الْقُرْآنُ
وَالْحِكْمَةَ	وَهِيَ السُّنَّةُ وقيل: الحكمة، معرفة أسرار الشريعة والفقه فيها، وتنزيل الأمور منازلها.
وَيُعَلِّمُهُم مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ	قال ابن كثير: {فَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْجُهْلَاءِ يسفهون بالعقول الغراء، فَانْتَقَلُوا بِبَرَكَةِ رِسَالَتِهِ، وَيُمْنِ سِفَارَتِهِ، إِلَى حَالِ الْأَوْلِيَاءِ، وَسَجَايَا الْعُلَمَاءِ فَصَارُوا أَعْمَقَ النَّاسِ عِلْمًا، وَأَبَرَّهُمْ قُلُوبًا، وَأَقَلَّهُمْ تَكَلُّفًا، وَأَصْدَقَهُمْ لَهْجَةً! "}

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ.	وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ قَالَ: اذْكُرُونِي فِيمَا افْتَرَضْتُ عَلَيْكُمْ أَذْكُرْكُمْ فِيمَا أَوْجَبْتُ لَكُمْ عَلَى نَفْسِي، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: اذْكُرُونِي بِطَاعَتِي أَذْكُرْكُمْ بِمَغْفِرَتِي {وَاشْكُرُوا لِي} أي: على ما أنعمت عليكم بهذه النعم، ودفعت عنكم صنوف النقم، والشكر يكون بالقلب، إقرارا بالنعم، واعترافا، وباللسان، ذكرا وثناء، وبالجوارح، طاعة لله وانقيادا لأمره، واجتنابا لنهيه، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة، قال تعالى: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزِيدَنَّكُمْ} ولما كان الشكر ضده الكفر، نهى عن ضده **فقال: {وَلا تَكْفُرُونِ}** المراد بالكفر هاهنا ما يقابل الشكر، فهو كفر النعم وجحدها، وعدم القيام بها، ويحتمل أن يكون المعنى عاما، فيكون الكفر أنواعا كثيرة، أعظمه الكفر بالله، ثم أنواع المعاصي، على اختلاف أنواعها وأجناسها، من الشرك، فما دونه عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَشْكُرُكَ؟ قَالَ لَهُ رَبُّهُ: «تَذْكُرُنِي وَلَا تَنْسَانِي، فَإِذَا ذَكَرْتَنِي فَقَدْ شَكَرْتَنِي، وإذا نسيتني فقد كفرتني».
	عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نفسك ذكرتك في نفسي، إن ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلَأٍ مِنَ الملائكة- أو قال، في ملأ خير منه- وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي شِبْرًا دَنَوْتُ مِنْكَ ذِرَاعًا، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي ذِرَاعًا دَنَوْتُ مِنْكَ بَاعًا، وإن أتيتني تمشي أتيتك هرولة» ، صَحِيحُ الْإِسْنَادِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ، وَعِنْدَهُ قَالَ قَتَادَةُ: اللَّهُ أَقْرَبُ بِالرَّحْمَةِ

هداية .... وتدبر

كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ	بيان نعمة الله تعالى علينا بإرسال الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليُعبَد بما شرع؛ ولا يمكن أن نعرف أن هذا مما يرضاه الله أن نتعبده به، وهذا مما لا يرضاه إلا بواسطة الرسل ولهذا قال أبو ذر رضي الله عنه: «تركنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا عندنا منه علم»
	أن كون الرسول مِنّكم يقتضي أن تكون قريش أول من يصدق به؛ لأنهم يعرفونه، ويعرفون نسبه، ويعرفون أمانته؛ ولأنه يكون مُشاكلاً لهم في طبائعهم ولهذا وبخهم الله تعالى على الكفر به، ووصْفِه بالضلال، والجنون، فقال جل وعلا: {ما ضل صاحبكم وما غوى} [النجم: ٢] ، وقال جل وعلا: {وما صاحبكم بمجنون} [التكوير: ٢٢].
	إعزاز هذه الأمة الأُمية التي كان الفُرس والروم من حولها لا يعبئون بها، فلما بعثه الله تحولت هذه الأمة إلى الريادة والقيادة
يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا	أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أوحي إليه على وجه الكمال؛ فجميع الآيات التي أوحاها الله إليه قد تلاها؛ قال الله تعالى: {إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه} [القيامة: ١٧ - ١٩] .
وَيُزَكِّيكُمْ	أن الشريعة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم كلها تزكية وتطهير للأمة، ودعوة إلى الأخلاق الفاضلة؛ وتعمير القلوب بالإيمان والتقوى والعمل الصالح والأخلاق الزاكية.

	بدأ بتخليص النفوس من الشوائب وهذا مقصود لغيره؛ ليكون المحل مُهيئًا قابلاً للنماء وزكاء الزرع ونحو ذلك، ففيها التخلية قبل التحلية.
	أعظم مايزكي النفوس تلاوة القران بالتدبر.
وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ	اشتمال الشريعة على الحكمة، فما من شيء من مأموراتها، ولا منهياتها، إلا وهو مشتمل على الحكمة وهي وضع الشيء في موضعه، وأعظم الحكم في الشرائع هي طاعة الله ورسوله، سواء عقلنا المعنى أم لا، ولهذا لما قالت معاذة لعائشة رضي الله عنها: «ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ قالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة»؛.
وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ	التعبد لله بحب النبي، ونسبة الخير إلى أهله، لأننا تعلمنا الأحكام الشرعية والكونية من النبي، وليس لنا علم بها قبل تعليم النبي.
	هذه الآية تبين مراتب الفقه في الدين، وكيفية التعليم، الأولى هي التلاوة والتلقين والحفظ، ثم بعد ذلك يأتي التربية على معاني القرآن، ولهذا جاء عن حذيفة: تعلمنا الإيمان قبل القرءان، ثم تعلمنا القرءان فازددنا به إيمانا ثم تأتي المرتبة الثالثة وهي الفقه في الدين.
	الأصل في الإنسان الجهل، ومن نعم الله علينا أن منَّ علينا بالفهم والعلم، قال تعالى: {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة} [النحل: ٧٨] ؛ فبين طرق العلم: {السمع والبصر} ؛ وبهما الإدراك؛ و {الأفئدة} ؛ وبها الوعي، والحفظ
فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ	**تأمل . . . تدرك** ... ثمرة الذكر أن الله يمنحك به آفاقا واسعة في العلم والفهم، فمن أخذه بحقه .. فسيتغير فيه كل شيء.. ويوفق غاية التوفيق.

	لو لم يكن للذاكرين من الشرف إلا أن الله يذكرهم لكفاهم.. وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء .. ويوفق إليه من أراد .. فالذكْر من أسهل الطاعات لكن لا يوفق له إلا القليل.
	الذكر قريب المنال لا يحتاج إلى عمل كثير ولا إلى جهد كبير وإنما مباشرة: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ] فرتب عليه هذا الجزاء
	قال البناني: إني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل ... ففزعوا منه وقالوا : "كيف تعلم ذلك؟! فقال: إذا ذكرته ذكرني "فاذكروني أذكركم
	لو استقر يقين هذه الآية في قلبك، ما فتر لسانك عن ذكر علاَّم الغيوب، وما جفت شفتاك من ذكر الله.
	اذا شعر الإنسان بالإهمال ممن حوله، والضياع وفقدان التقدير، فليذكر ربه والله سيذكره... تحرر من رق العبودية للمخلوق.
	الجزاء من جنس العمل، فذكر العبد لربه يورث ذكرًا للعبد من قِبل ربه وخالقه.
	ليْس الذاكر من قَال : سُبْحَانَ الله والْحَمْد لله، وقَلبه مُصرٌّ على الذُّنُوب، وإِنَّمَا الذاكر من إِذا هَمَّ بِمَعْصِيَة؛ ذكر مقَامه بين يَدي علام الغيوب
وَاشْكُرُوا لِي	العبد بين نِعم يتقلب فيها يحتاج معها إلى شكر، وبين طاعات يوفق إليها وهي أجل النعمتين فيحتاج معها إلى شكر أَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ وَعَلَيْهِ مِطْرَفٌ مِنْ خَزٍّ لَمْ نَرَهُ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا بَعْدَهُ، فَقَالَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ، «مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى خَلْقِهِ». شكر الله يكون بأمور:

	الأول: ظهور أثر هذه النعمة باستعمالها فيما أباحه الله من غير سرف ولا .افتخار، ولذلك فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده. الثاني: من شكر النعمة أن يقر الإنسان بها ولا يجحدها.
وَلا تَكْفُرُونِ	من أعظم الكفر كفر النعمة وأعظمه أن يستعمل العبد نعمة الله –تبارك .وتعالى– عليه بمعصيته.
	أكثر الناس شكراً لنعم الله، أكثرهم ذكراً لله، فالذكر بوابة الشكر (فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون)
	العبد بين هاتين الحالتين لا يُفارقهما بحال من الأحوال الذكر والشكر، فهو بين نِعم مُتجددة وبين ذكر لربه –تبارك وتعالى– وطاعة يتقرب بها إليه، ولهذا كان أنفع الدعاء كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن القيم–رحم الله الجميع: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣)

"التفسير التحليلي"

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا	إذا صدَّر بالنداء فهو دليل على الاهتمام به؛ كما قال ابن مسعود: اذا سمعتم قول الله يا أيها الذين ءامنوا فارعها سمعك.
اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ	أي اجعلوا الصبر عوناً لكم؛ وكذلك اجعلوا الصلاة عونًا لكم. **الصبر هو**: حبس النفس وكفها عما تكره، حبس النفس بالنسبة للمصائب عن الجزع والتسخط، وفي حال النعمة حبس النفس عن البطر، يحبس الإنسان نفسه فيحملها على طاعة الله شكراً على هذا الإنعام والإفضال **وأمر تعالى بالاستعانة بالصلاة** لأن الصلاة هي عماد الدين، ونور المؤمنين، وهي الصلة بين العبد وبين ربه، فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة، وحصل فيها حضور القلب، ومناجاه الله صارت هذه الصلاة من أكبر المعونة على جميع الأمور مما يوجب للعبد في قلبه، وصفا، وداعيا يدعوه إلى امتثال أوامر ربه، واجتناب نواهيه فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ	وهذا تذييل في معنى التعليل، يعني: كأنه يقول استعينوا بالصبر والصلاة لأن الله مع الصابرين، اصبروا ليكون الله معكم؛ وهذه بشرى عظيمة لمن صبر؛ وقال تعالى: {مع الصابرين} أي: مع من كان الصبر لهم خلقا، وصفة، وملكة بمعونته وتوفيقه، وتسديده. وهذه معية الله الخاصة، تقتضي محبته ومعونته، ونصره وقربه فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله، لكفى بها فضلا وشرفا

قال ابن كثير	لَمَّا فَرَغَ تَعَالَى مِنْ بَيَانِ الْأَمْرِ بِالشُّكْرِ، شرع في بيان الصبر والإرشاد والاستعانة بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي نِعْمَةٍ فَيَشْكُرُ عَلَيْهَا، أَوْ فِي نِقْمَةٍ فَيَصْبِرُ عَلَيْهَا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ «عَجَبًا لِلْمُؤْمِنِ لَا يَقْضِي اللَّهُ لَهُ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ فَشَكَرَ كَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ فَصَبَرَ كَانَ خَيْرًا لَهُ» . وَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ أَجْوَدَ مَا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى تَحَمُّلِ الْمَصَائِبِ الصَّبْرُ وَالصَّلَاةُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ: وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ [الْبَقَرَةِ: ٤٥] ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم كان إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى وَالصَّبْرُ صَبْرَانِ فَصَبْرٌ عَلَى تَرْكِ الْمَحَارِمِ وَالْمَآثِمِ وَصَبْرٌ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَالْقُرُبَاتِ، وَالثَّانِي أَكْثَرُ ثَوَابًا لِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ. وأما الصبر الثالث وهو الصبر على المصائب والنوائب، فذلك أيضا واجب كالاستغفار من المعايب، كَمَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: الصَّبْرُ فِي بَابَيْنِ: الصَّبْرُ لِلَّهِ بِمَا أَحَبَّ وَإِنْ ثَقُلَ عَلَى الْأَنْفُسِ وَالْأَبْدَانِ، وَالصَّبْرُ لِلَّهِ عَمَّا كَرِهَ وَإِنْ نَازَعَتْ إِلَيْهِ الْأَهْوَاءُ، فَمَنْ كَانَ هَكَذَا فَهُوَ مِنَ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ: إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يُنَادِي مُنَادٍ، أَيْنَ الصَّابِرُونَ لِيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ قَبْلَ الْحِسَابِ؟ قَالَ: فَيَقُومُ عُنُقٌ مِنَ النَّاسِ فَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ: إِلَى أَيْنَ يَا بني آدم؟ فيقولون: إلى الجنة، فيقولون: قبل الْحِسَابِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالُوا: وَمَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نحن الصَّابِرُونَ، قَالُوا: وَمَا كَانَ صَبْرُكُمْ، قَالُوا: صَبَرْنَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَصَبَرْنَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ حَتَّى تَوَفَّانَا اللَّهُ، قَالُوا: أَنْتُمْ كَمَا قُلْتُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (قال ابن كثير) وَيَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ [الزُّمَرِ: ١٠] وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: الصَّبْرُ اعْتِرَافُ الْعَبْدِ لِلَّهِ بِمَا

	أَصَابَ مِنْهُ، وَاحْتِسَابُهُ عِنْدَ اللَّهِ رَجَاءَ ثَوَابِهِ وَقَدْ يَجْزَعُ الرَّجُلُ وَهُوَ مُتَجَلِّدٌ لَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا الصَّبْرُ

هداية .... وتدبر

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا	خاطبهم بالإيمان لأنهم المتأهلون للقبول عن الله -تبارك وتعالى- فهذا الإيمان الذي أعلنوه يقتضي القبول والانقياد والتسليم لربهم وخالقهم
اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ	اطلبوا العون من الله في كل أموركم ومطالبكم الدينية والدنيوية بالصبر، كل ذلك يُستعان عليه بالصبر والصلاة، فالنبي كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، ويقول: قم يا بلال فأرحنا بالصلاة وكذلك أيضًا هذه الصلاة كما أخبر الله وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ [سورة العنكبوت:٤٥] لما نُعي إلى ابن عباس أخوه، نزل من راحلته -وهو بين مكة والمدينة- فصلى وقال: وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ونقل ذلك عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي زوج عبد الرحمن بن عوف ، لما مرض فأغمي عليه، فظنوا أنه قد مات، فخرجت إلى المسجد، وجعلت تصلي عملاً بهذه الآية: وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ –
	شدة الاقتران بين الصبر والصلاة، فهما العون بعد الله -تبارك وتعالى- على تحقيق المطالب الدنيوية والأخروية، فالإنسان كما قال الله خلق في كبد وتعب ومشقة فيحتاج إلى صبر، ويحتاج إلى الصلاة ففيها تقوية الصلة بين العبد وبين ربه، فيكون أدعى لقوته ونشاطه وصبره وتحمله.

	والصلاة التي تنفع وتؤثر هذا التأثير هي التي تكون مستوفية لشروطها وأركانها وواجباتها واستحضار القلب ولذلك يقول الله -تبارك وتعالى- دائمًا وَأَقِمِ الصَّلاةَ ووَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ [سورة البقرة:٤٣] هذا بالإضافة إلى ذكر الله الدائم المستمر، وكما في قوله -تبارك وتعالى: وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ	وهذا فيه إثبات معية الله الخاصة التي تكون لأهل الإيمان، وهي تقتضي التأييد والتثبيت والهداية والنصر وما إلى ذلك. وأما المعية العامة التي تكون لكل الخلق فذلك بالإحاطة والعلم، ونحو ذلك
	تنشيط للنفوس وتقوية لها وبعث لها على المداومة والثبات والصبر، والاستمرار على طاعة الله -تبارك وتعالى- مع ملازمة الصلة به ودوامها.
	ولو لم يكن لهؤلاء من أهل الاستعانة بالصبر والصلاة إلا معية الرب -تبارك وتعالى- لكفى بذلك فضلاً وشرفًا إلى من أثقله الألم وأنهكهُ التعب ، لاتستوحش واصبر فإنَّ الله معك!!

{وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَلكِنْ لا تَشْعُرُونَ (١٥٤)}

"التفسير التحليلي"

لما ذكر تبارك وتعالى، الأمر بالاستعانة بالصبر على جميع الأمور ذكر نموذجا مما يستعان بالصبر عليه، وهو الجهاد في سبيله، وهو أفضل الطاعات البدنية، وأشقها على النفوس، لمشقته، ولكونه مؤديا للقتل، وعدم الحياة، التي يرغب فيها الناس. ومن المعلوم أن الشيء المحبوب لا يتركه أي عاقل إلا لمحبوب أعلى منه وأعظم وأجل، فأخبر الله تعالى: أن من قتل في سبيله، بأن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، و يكون دينه هو الدين الظاهر، لا لغير ذلك من الأغراض، فإنه لم تفته الحياة المحبوبة، بل حصل له حياة أعظم وأكمل، مما تظنون وتحسبون.	
وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ	أي ولاتقولوا يا أيها المؤمنين فيمن يقتل في سبيل الله مجاهدًا لتكون كلمة الله هي العليا أموات، وهو يشمل القول بالقلب – وهو الاعتقاد، والقول باللسان – وهو النطق.
بَلْ أَحْياءٌ	بل للإضراب الإبطالي. أحياء عند ربهم، كما في أية آل عمران؛ وهي حياة برزخية لا نعلم كيفيتها؛ ولا تحتاج إلى طعام، وشرب، وهواء، يقوم به الجسد.
وَلكِنْ لا تَشْعُرُونَ	أي لا تشعرون بحياتهم؛ لأنها حياة برزخية غيبية؛ ولولا أن الله عزّ وجلّ أخبرنا بها ما كنا نعلم بها.
قال ابن كثير	يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ الشُّهَدَاءَ فِي بَرْزَخِهِمْ أَحْيَاءٌ يُرْزَقُونَ، كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ،

	فاطَّلَعَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا وَأَيُّ شَيْءٍ نَبْغِي، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خلقك؟ ثم عاد عليهم بِمِثْلِ هَذَا فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَا يُتْرَكُونَ مِنْ أَنْ يَسْأَلُوا، قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّنَا إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا فَنُقَاتِلَ فِي سَبِيلِكَ حَتَّى نُقْتَلَ فِيكَ مَرَّةً أُخْرَى- لِمَا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ الشَّهَادَةِ- فَيَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ: إِنِّي كَتَبْتُ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ.

هداية .... وتدبر

وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ	القتل في سبيل الله لابد أن يكون مستوفيًا للشروط الصحيحة: **أولًا**: أن يكون خالصًا في جهاده مُخلصًا لا يكون جهاده رياءً وسمعة أو حمية جاهلية أو نحو ذلك **ثانيًا**: استقامة العمل، أن يكون هذا الجهاد في أصله مشروعًا.
	هذه الآية تدل على عناية الله -تبارك وتعالى- بهؤلاء الذين قتلوا في سبيله.
بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ	**الجزاء من جنس العمل** هؤلاء حينما بذلوا مُهجهم رخيصة في سبيل الله -تبارك وتعالى- عوضهم الله بحياة أكمل وأرفع وأعظم، ثواب الله سبحانه وتعالى للعامل أجلُّ، وأعلى.
	معيار الربح والخسارة في هذه الحياة الدنيا عند الناس ليس كالمعيار الذي عند الله -تبارك وتعالى، قد لا يعرف الناس قدر انسان، ولكن قدره عند الله وافر.

	فالإنسان لا حاجة لأن يتزين للناس بعمله ويجمله، ولا أن يُظهر عمله، وإنما يعمر ما بينه وبين الله –تبارك وتعالى– وإن لم يعرفه الناس، وإن لم يُعظم، وإن لم يكن بذي منزلة عندهم.
	في هذه الآية، أعظم حث على الجهاد في سبيل الله، وملازمة الصبر عليه، فلو شعر العباد بما للمقتولين في سبيل الله من الثواب لم يتخلف عنه أحد

مسائل مستنبطة

مسائل عقدية:

إثبات نعيم القبر، فالقبر يكون فيه من النعيم لأهل الإيمان، ويكون فيه من العذاب لأهل الكفر، وقد يُعذب فيه بعض المؤمنين بذنوبهم، كما قال النبي حينما أتى على قبرين فقال: إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة
في البرزخ: النعيم والعذاب يقع على الأرواح، ويلحق الأبدان به على سبيل التبع. أما في الحياة الدنيا: يقع النعيم والألم على الأجسام والأرواح تبع لها، فالبرزخ عكسه. وفي الآخرة: بعد البعث والنشور يقع الألم والعذاب والنعيم على الأبدان والأرواح على حد سواء وهذا كمال النعيم.

مسألة في الجمع بين الأدلة:

عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ	**قال ابن كثير:** فَفِيهِ دَلَالَةٌ لِعُمُومِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْضًا وَإِنْ كَانَ الشُّهَدَاءُ قَدْ خُصِّصُوا بِالذِّكْرِ فِي الْقُرْآنِ تشريفا وتكريما وتعظيما.

وَسَلَّمَ: «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ» **ما الفائدة من تخصيص الشهداء في حديث آخر وهم ضمن المؤمنين؟**	وهذا ترجيح ابن جرير أيضا **وهناك فائدة أخرى:** أن الشهداء أرواحهم في أجواف طير خضر، تسرح في الجنة أما أرواح المؤمنين: فهي ليست في حواصل طير، وإنما تكون طائراً يطير في الجنة، فأرواح الشهيد أكمل، تسرح في الجنة حيث شاءت، وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش، وأرواح المؤمنين تَعْلَق بشجر الجنة.

{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)}

"التفسير التحليلي"

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ	أَيْ يَخْتَبِرُهُمْ وَيَمْتَحِنُهُمْ. الجملة هنا مؤكدة بثلاثة مؤكدات: القسم، واللام، والنون؛ والتقدير: واللَّهِ لنبلونكم.
بِشَيْءٍ	أي: باليسير من الابتلاءت؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله، أو الجوع، أو نقص الثمار والأموال كلها لهلكوا، والمحن تمحص لا تهلك. وقال في سورة النحل عند ذكر عذاب قرية { فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ} أنزل بها بأسه، فأذاقها لباس الجوع والخوف، فصار ذلك ظاهراً عليهم، كاللباس الذي يظهر على لابسه.
مِنَ الْخَوْفِ	أي الذُّعْر؛ وهو شامل للخوف العام، كأن تكون البلاد مهددة بعدو. والخوف الخاص؛ كأن يبتلى الشخص المعين بمن يخيفه ويروعه.
وَالْجُوعِ	هو خلو البطن من الطعام مع شدة اشتهائه إما قلة الطعام، أو لقلة المال الذي يحصل به الطعام أو لمرض يمنعه من الطعام.
وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ	{الأموال} جمع «مال» ؛ وهو كل ما يتموله الإنسان من نقود، ومتاع، وحيوان، والإبتلاء فيها بذهابها أو تلفها. {والأنفس} جمع «نفس» ؛ والمراد: الأرواح، كموت الاحباب والأقارب، والأمراض الفتاكة التي تهلك الأمم، مثل الطاعون.

	{والثمرات} جمع «ثمرة» ؛ وهي ما ينتج من أشجار النخيل، والأعناب، وغيرهما، بأن تأتي كوارث تنقص بها هذه الثمار، أو تتلف.
	وَقَدْ حَكَى بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْخَوْفِ هَاهُنَا خَوْفُ اللَّهِ، وَبِالْجُوعِ صيام رمضان، وبنقص الْأَمْوَالِ الزَّكَاةُ، وَالْأَنْفُسِ الْأَمْرَاضُ، وَالثَّمَرَاتِ الْأَوْلَادُ، وَفِي هَذَا نَظَرٌ، وبعيد عن المقصد وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ	بشر أي أخبرهم بما يسرهم، وهو أنهم يوفون أجرهم بغير حساب.
الَّذِينَ إذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ	أي الصابرون هم من أتتهم من المصائب الخمس التي ذكرها في الآية الأولى. والمصيبة هي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما.
قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ	{قالوا} أي بقلوبهم، وألسنتهم. {إنا لله}: اللام للملك؛ يعني إنا ملك لله يفعل بنا ما يشاء، وما يريد. { **وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ** } أي صائرون في جميع أمورنا دنيا، وآخرة؛ فنرجو الله عند رجوعنا إليه أن يجزينا بأفضل منها. وهنا فائدة: جمعوا هنا بين الإقرار بالربوبية في قولهم: {إنا لله ، وبين الإقرار، والإيمان بالجزاء الذي يستلزم العمل الصالح؛ لأنهم يقولون: {وإنا إليه راجعون} عَنْ أم سلمة أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا آجره الله في مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا» قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «قَالَ اللَّهُ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ قَبَضْتَ وَلَدَ عَبْدِي؟ قَبَضْتَ قُرَّةَ عَيْنِهِ وَثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَمَا قَالَ؟ قَالَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. قال: «ابنوا لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ»

قال ابن كثير	أَيْ تَسَلَّوْا بِقَوْلِهِمْ هَذَا عَمَّا أَصَابَهُمْ وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ مِلْكٌ لِلَّهِ يَتَصَرَّفُ فِي عَبِيدِهِ بِمَا يَشَاءُ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَا يَضِيعُ لَدَيْهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَحْدَثَ لَهُمْ ذَلِكَ اعْتِرَافُهُمْ بِأَنَّهُمْ عَبِيدُهُ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.
أُولئِكَ عَلَيْهِمْ	الإشارة للبعيد للدلالة على علو مرتبتهم، ومنزلتهم، ومقامهم.
صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ	الثناء عليهم في الملأ الأعلى.
وَرَحْمَةٌ	هي نزول ألطاف لله بعبده، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: أَيْ أَمَنَةٌ مِنَ الْعَذَابِ.
وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ	.**الْمُهْتَدُونَ**: دخول أل يُشعر بالحصر، كأنه لا مُهتدي غير هؤلاء. وجاء التعبير أيضًا باسم الفاعل الْمُهْتَدُونَ ليدل على الثبوت، فالهداية وصف راسخ ثابت لهم. **والآية فيها احتمالان:** **الأول**: أن الهداية نتيجة لهذه الصلوات. **الثاني**: أن الاهتداء هو سبب لصبرهم الذي حصل بسببه هذه الصلوات، فذكر الجزاء أولاً تطمينًا للنفوس، وأخر الوصف الذي أوجب لهم مثل هذه المراتب، .والله تعالى أعلم
قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: نِعْمَ الْعِدْلَانِ وَنِعمَتِ الْعِلَاوَةُ	العدلان: عدلا البعير ما يوضع على ظهره والعلاوة: هي ما يوضع فوق ظهره بينهما. **قال ابن كثير**: أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ فَهَذَانَ الْعَدْلَانِ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ فَهَذِهِ الْعِلَاوَةُ وَهِيَ مَا تُوضَعُ بَيْنَ الْعَدْلَيْنِ وَهِيَ زِيَادَةٌ فِي الحمل فكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وَزِيدُوا أَيْضًا

هداية ....
وتدبر

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ	أمر واقع لا محالة، ففيها توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل، إذا وقعت وهذا من لطف الله بنا حتى نستعد للابتلاء، قال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ} جبلت على كدر وأنت تريدها صفوًا من الأقدار والأكدار
بِشَيْءٍ	فهو شيء يسير فالابتلاء للتمحيص ورفع الدرجات، وليس للإهلاك، فالله -تبارك وتعالى- يبتلي عبده المؤمن ليُمحصه، ليُنقيه، ليرفعه، ليُطهره، لا ليُهلكه. قال النبي: "عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير" خير لنا، لم يقل علينا وقد جاء ما يدل على أن الله -تبارك وتعالى- قد يجعل للعبد منزلة عنده عالية في الجنة لا يبلغها بعمله بصلاته بصيامه بصدقته ونحو ذلك، لكنه يُرفع إليها بابتلاء يسوقه الله إليه، فلو علم العبد هذا واستيقنه لاستبشر وفرح ولم يجزع ولم يتسخط
مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ	ابتلاء العباد بما ذكر الله من المصائب الخمس الخوف، والجوع، ونقص الأموال، والأنفس، والثمرات، وهو لمن وقع به ظاهر؛ ولغيرهم يكون الابتلاء بالاعتبار، والخوف أن يقع بهم مثل ما وقع بالذين ابتلوا ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر. فالجازع، حصلت له المصيبتان، وجود هذه المصيبة، وفوات الأجر بامتثال أمر الله بالصبر، ففاز بالخسارة والحرمان وأما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب: فحبس نفسه عن التسخط، قولا وفعلا واحتسب أجرها عند الله، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، بل المصيبة تكون نعمة في حقه، لأنها صارت طريقا لحصول ما هو خير له وأنفع منها، فقد امتثل أمر الله، وفاز بالثواب. **قال الشيخ العثيمين:.**

	الناس ينقسمون عند المصائب إلى قسمين: صابر، وساخط؛ وقد جاء في الحديث: «من رضي فله الرضا؛ ومن سخط فله السخط» فالصبر على المصائب واجب؛ وقد ذكر العلماء أن للإنسان عند المصيبة أربعة مقامات .المقام الأول: الصبر ـ وهو واجب المقام الثاني: الرضا ـ وهو سنة على القول الراجح؛ والفرق بينه، والصبر، أن الصابر يتجرع مرارة الصبر، ويشق عليه ما وقع؛ ولكنه يحبس نفسه عن السخط؛ وأما الراضي: فإن المصيبة باردة على قلبه لم يتجرع مرارة الصبر عليه؛ فهو أكمل حالاً .من الصابر .المقام الثالث: الشكر: بأن يشكر الله على المصيبة احتساب الأجر على المصيبة بأنه كلما عظم المصاب كثر الثواب؛ ولهذا ذكروا عن بعض العابدات أنها أصيبت بمصيبة، ولم يظهر عليها أثر الجزع؛ فقيل لها في ذلك، .فقالت: إن حلاوة أجرها أنستني مرارة صبرها المقام الرابع: السخط – وهو محرم – بل من كبائر الذنوب؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية
الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ	من سمة الصابرين تفويض أمرهم إلى الله بقلوبهم، وألسنتهم إذا أصابتهم المصائب ويقولون: «اللهم أْجُرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها» {قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ} أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، بل من كمال عبودية العبد، علمه، بأن وقوع البلية من المالك الحكيم، الذي أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك، الرضا عن الله، والشكر له على تدبيره، لما هو خير لعبده، وإن لم يشعر بذلك
	وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ: يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفورا عنده، وإن جزعنا وسخطنا، لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر

	ودلت هذه الآية، على أن من لم يصبر، فله ضد ما لهم، فحصل له الذم من الله، والعقوبة، والضلال والخسار
أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ	فبقدر ما يكون عند العبد من الصبر والاحتساب يكون له من الصلوات والرحمة والاهتداء والبشرى **صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ** فصلاة الله على عبده أن يذكره في الملأ الأعلى، وذكر الرب لعبده في الملأ الأعلى يُنسيه كل شيء، وإذا ذكره في الملأ الأعلى فلا تسأل عن الألطاف التي تتوجه إلى هذا العبد.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات